

سلسلة أعلام حضرة ١٠

الإمام الشيخ عمر المحضار
(ت ٥٨٣٣هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن عكي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن

حقوق الطبع محفوظة للناشر
فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

(١٠)

الإمامُ الشَّيْخُ عُمَرُ المِحْضار

((أَبوعائِشَةَ))

(ت ٨٣٣ هـ)

الغلاف الداخلي

(٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

الإهداء

إلى شيوخ الأفاضل..

بقيّة السلف...

وأمثلة الطريق في الخلف..

وإلى المتطلّعين إلى معرفة الرجال الجامعين بين السُلطة

الروحيّة الظاهرة والباطنة في مدرسة حضرموت..

وإلى الراغبين في التعرّف على نماذج « السفينة التي من

ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك »..

المؤلف

(ʌ)

شاهد الحال

((لو شئتُ أَنْ أُمْلِي مِنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ
تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾
ما يُؤَقِّرُ أَلْفَ بَعِيرٍ لَفَعَلْتُ)) .

الشيخ عمر المحضار

سلسلة النسب الشريف

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام

الحسين السبط

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد

عيسى

أحمد المهاجر

عبيدالله

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

علي

محمد الفقيه المقدم

علوي الغيور

محمد مولى الدويلة

عبدالرحمن السقاف

(الشيخ عمر المحضار)

فاطمة

عائشة

علوية

مريم

المدخل

الحمد لله ومنه الكثير الطيب، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ الْأَبِ الصَّادِقِ، والعلم السَّامِقِ، الذي أذن الله لورثته بالمقام الباسق، وجعلهم في كل عصرٍ ما بين قائم وناطق، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعدُ فَأُزِفُ إِلَى القراء الكرام أُنموذجاً جديداً من نماذج مدرسة حضرموت، ربما كان هذا النموذج يحمل تفرداتٍ لم تُولف لذي أسلافه، ومواقف لم تكن لخلافه، ولكنها تُبْرِزُ للمتأمل ما يهيئه الله بأسباب التنشئة والتربية الموجهة على أيدي الآباء الصالحين والأمهات الصالحات، من بناء دفعات الرجولة في الرجال، فَيُنشِئُونَ متطلّعين إلى التّرقى في أوج الكمال، يحملون في صدورهم المسؤوليات بكل معانيها، مسؤولياتهم مع ربهم وخالقهم، وهي مصدر الإمداد والاستمداد، ثم مسؤولياتهم في بناء الواقع، المستثمرين أسبابه وظروفه ورصّ صفوف أعضائه وأسرته رصّاً يبرز معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، وهذا الإمام القُدُّ كان حاله في هذه المواقف كحال المتفردين من سلسلة آبائه كالمهاجر والفقير، ذو إحساس بالمسؤولية وقائم ببنائها

ورعايتها مع طول صبر وجلال قدر وثاقب رؤية وعظمة مواقف ونورانية حال.

وحتى لا يطول بالقارئ الوصف أنقله إلى الواقع ذاته ليرى من خلال مرحلة النمو والتنشئة، كيف كان منهج التربية الأبوية لهذه المدرسة، وأن فقدان هذه النماذج كان من أهم أسبابه فقدان المنهج التربوي ذاته، والله في خلقه شؤون، إنما أمره إذا أراد شيئاً، أن يقول له كن فيكون، ومنه المدد والعون وعليه التكلان في كل حال.

التعريف بالشخصية

هو السيد الشريف، والعلم الشامخ المنيف، الحائز على رتبة المشيخة الكاملة، والمشهود له من شيوخ مصره وعصره بالصدارة الباطنة والظاهرة، والمتقدم حسناً ومعنى في كل علم وفن وذوق ومعرفة في عصره، الولي حقاً ابن الولي، والعالم ابن العالم، والوارث ابن الوارث، الناشئ بجدارة الوصف منذ نعومة الأظفار على كتاب الله وسنة النبي المختار، متدرجاً ومتنامياً حتى بلغ مدلول الوصف بالمحضر.

ميلاده ونشأته

ولد بحرم الإقليم، مدينة التربية الأبوية والتعليم مدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ مع إخوته الأبرار تحت رعاية الأبوة الصالحة والتربية الروحية الطافحة بهجةً ونورانيةً وتفاعلاً مع بركات الوقت ليل نهار، واستنفاً واعياً لدقائق اللحظات في المسجد والطريق والدار. وليست هذه مبالغة في وصف الحال أو إفراطاً، وإنما هي بعض محاولة المتتبع حقائق الوصف مع بعض التجاوز والاحتياط، فالتربية الأبوية لا تقف عند باب مدرسة ولا عند علاقة معلم أو مدرس، فالآباء المربون قد جعلوا كل أسباب حياتهم مدرسة، وما الكتابة والقراءة فيها إلا جزء من أجزاء المعرفة العلمية العملية الشاملة، فالناشئ يعي آثار القرآن وسر معانيه مقروناً بالخشية والتعظيم قبل سن التربية والتعليم، يوقظه من الليل نشيخ التلاوة للقرآن، ويبهره نور الوجوه المنعمة بالإيمان، تنطلق منها طاقات النور إلى القلوب الفتيمة، فتحدث فيها شوقاً ولهفاً إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

وما أن استقامت الأقدام، ليسير عليها الناشئ عاماً بعد عام؛ إلا وقد ألفت طريق المساجد والمعاهد وحركة العلماء والأولياء من قائم

وقاعد وراكع وساجد، وإذا ما التفتَ الطفلُ إلى ما لا يليق وجد
الواقع كَلَّهُ يَدُّهُ على الطريق، فلا يجد غير الاستقامة، ولا يسمع في
المحيط غير أخبار السلامة في دار الدنيا ودار المقامة، ومن هنا تبدأ
الوجهة.

وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف ينظر إلى ولده المخضار بعين
الرعاية الكلية، حتى صار بذلك محتذياً سنن أبيه في كافة مقاصده
وعباداته وعاداته ومراميه، وقد اختار له من الشيوخ أطوادَ الزمان،
ومن المؤدبين والمعلمين الأراكين، فنال منهم منالاً عظيماً في كافة
العلوم، وكان من جميل حظه قوة إدراكه وسرعة حفظه، حتى ورد عنه
أنه استظهر « منهاج الطالبين » في باكورة طلبه.

ومن أجل مشايخه في العلوم وتحقيق الفهوم بعد والده الشيخ
العلامة الفقيه أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل^(١) ومن في مرتبته، حتى
حقق علوم عصره وصحب جملة من أهل التجريد والتصوف فانتفع

(١) الشيخ أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل المذحجي ثم السعدي نسبة إلى قبيلة مذحج
القحطانية الشهيرة، والسعدي نسبة إلى سعد العشيرة بن مذحج، وهو من آل
بافضل، وهم المشايخ المشهورون بالعلم والتقوى والصلاح منذ أجيال مضت، ترجم له
الشيخ محمد بن عوض بافضل في كتابه « صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل » .

بهم.

مجاهداته ورياضاته

عُرِفَ الشَّيْخُ عَمْرُ الْمُحَضَّرِ بِقُوَّةِ الْعِزْمِ وَمِضَاءِ الْعِزْمَةِ مِنْ صِبَاهِ، وَكَانَتْ كَلِيمَاتُ وَالِدِهِ الْمُرِّيِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ تَشُقُّ شِغَافَ قَلْبِهِ إِذَا مَا أُنْبِئَهُ أَوْ عَاتَبَهُ لِيَقِيمَ نَفْسَهُ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَاهِدَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي « الْجَوْهَرِ الشَّفَافِ » الْحِكَايَةَ الثَّامِنَةَ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِئَتَيْنِ مِنْ مَنَاقِبِ السَّقَافِ قَالَ: عَنْ شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: ذُكِرَ فِي مَجْلِسِ وَالِدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فُقَيْهًا أَرَادَ أَنْ يَبُولَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَذَكَرَ أَنْ اسْتَقْبَلَهَا بِالْبَوْلِ حَرَامٌ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَدْبِرَهَا، فَذَكَرَ أَنْ اسْتَدْبَارَهَا بِالْبَوْلِ حَرَامٌ، فَمَالَ إِلَى جَانِبِ آخِرٍ وَبَالَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْرَأَ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مِنْ يَوْمٍ أَصْبَحْتُ، وَكُنْتُ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ، فَلَمَّا انْفَضَّ الْمَجْلِسُ وَذَهَبَ النَّاسُ قَامَ وَالِدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ أَتَى إِلَيَّ وَقَالَ: يَا عَمْرُ.. افْحَقْ بِعَابِعِكَ^(١).. إِنَّ الْفُقَهَاءَ مَا مَعَهُمْ إِلَّا قَبْسٌ، وَالصُّوفِيَّةُ مَعَهُمْ جَذْوَةٌ مِنْ

(١) قَالَ مُؤَلِّفُ « الْجَوْهَرِ » (٢ : ١٨): وَقَوْلُهُ: افْحَقْ بِعَابِعِكَ، أَي: اجْتَهِدْ اجْتَهِادًا

شَدِيدًا، يَكْنَى بِهَا عَنْ سُرْعَةِ الْحِثِّ فِي السَّيْرِ حَتَّى تَنَالَ مَرَادَكَ.

نار، وقال لي أيضاً: وأوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمل
الظاهر.

وورد أيضاً في « الجوهر الشفاف » في الحكاية التاسعة والخمسين
بعد المئتين قال: عن شيخنا الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه قال:
ذُكر الحلاج في مجلس والدي رضي الله عنه، وأطنب في ذكره، فقلتُ
في نفسي: ليت مَنْ هُوَ مثله، فالتفت إليّ والدي حين خطر ببالي
ذلك وقال لي: إن الحلاج ما يعجبه لعب الخَط^(١)، وكان الشيخ عمر

ويستفاد من إشارة الشيخ عبدالرحمن السقاف لولده أن الطريق التي أسير عليها
وأسيّرَ فيها من التربية والتسليك العلمي العملي أقوى وأسرع مما دار بخلدك وجمال
في فكرك، وهذا ما تؤكدُه الحكاية التي تليها، لاحظ.

(١) لعب الخط نوع من الألعاب الشعبية للأطفال، يخطون خطأً أو خطوطاً على الأرض
ويقفزونها بمقاييس وتراتيب معروفة، وهنا يلاحظ الأسلوب الأبوي في التربية، حيث
لم يشتغل الشيخ عبدالرحمن بمنع ولده عن اللعب رأساً، لأن اللعب للطفل مطلب
ذاتي، فتركه يمارس هوايته، حتى إذا ما حانت الفرصة للملاحظة من خلال ملاحظة
الأب استعدادات الابن وتيقظ حواسه للإعجاب بالشخصيات المذكورة قرع الأب
مسمع الابن بالكلمة التي انتظر طويلاً موقعها، فربط بين اللعب وبين التحول إلى
بناء الشخصية، فالتقطت العبارة أحاسيس الابن المتيقظ المتطلع وهو بعد لم يلتحق
بركب المجاهدة، فبدأ يقرر الابتعاد عن اللعب، وهذا الترك موقف مجاهدة يوازي الفعل
لمثلها من المجاهدات عند أهل الطريق.

إذ ذاك يعجبه لعب الخط ولم يدخل بعد في طريق القوم، فأراد والده أن يرتدع عن اللعب بالخط وينقلب إلى المجاهدة ليصير من أهل المعاني الفاخرة، فارتدع عن اللعب وكان من أمره ما كان^(١).

قال مؤلف « الجواهر » معلقاً على مراد الشيخ عبدالرحمن السقاف حول قوله: (أوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمل الظاهر): يعني بالباطن هنا معاملات القلب من المراقبة والحضور وغيرهما، وعمل الظاهر الجوارح، يعني أن قليلاً من عمل القلب يعدل بكثير من عمل الجوارح، ولا يَظُنُّ ظانُّ أنَّ الشيخ عبدالرحمن رضي الله تعالى عنه قال ذلك وهو مستخف بالعلم الشرعي أو جاهل بفضله، كلا بل هو أعلم العلماء بفضله الشريف ومكانه المنيف؛ ولكنه يعلم أن العلم الباطن - وهو العلم بالله تعالى - أفضل منه وأعلى، واطَّلَعَ^(٢) على أنَّ ابنه الشيخ عمر رضي الله عنه من أهل ذلك العلم العالي المرتفع الغالي، أعني العلم الباطن، فلذلك أغراه به حتى قصد نحوه وعلا في

(١) « الجواهر الشفاف » (٢: ١٩) .

(٢) قوله: اطلع، أي: تفرس في استعدادات ولده فأدرك الفطرة التي تتحرك في باطنه، ويمانع ظاهره عنها حيناً، فدفع به من خلال التوجيه ليتغلب على رعونة الظاهر ويبرز الإحساس الكامن في باطنه، وهكذا كان.

رحابه وصار إلى ما صار إليه رضي الله تعالى عنهما^(١).
ومن هنا بدأ طريق التربية النفسية أو ما تسمى بالمجاهدة، وقد
ارتقى الشيخ عمر المحضار فيها مرتقى صعباً، كتب السيد صالح
الحامد في «تاريخ حضرموت»^(٢): كان للمحضار في أول الأمر
مجاهدات عظيمة لا يكاد العقل المجرد يقبلها لولا الشواهد وروايات
الثقات.

وتتركز جل هذه الاهتمامات في قهر النفس وتهديتها وإخراجها
عن دائرة النزعات والرغبات المألوفة، وهذا من التأديب القرآني في قوله
تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ، والتزكية والتطهير مرتبة، وما كان
لنفس أن تتطهر من أدرانها ورغباتها من غير قمع لشهواتها ورعوناتها،
وقد تمكن الشيخ عمر بالتوفيق الإلهي والتوجيه الأبوي والاستعداد
الفطري والبيئة الملائمة أن ينخلع عن كافة شهوات النفس وأطماعها
وترك الحلال الجائز فضلاً عن المشبوه والمختلف عليه، بل كان يُدرّب
نفسه على الاصطبار عن شهوة الطعام الليلي العديدة والأيام ويكتفي
بالشيء اليسير من اللبن والسماء، وأثر عنه في أول مجاهداته أنه ربما

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

أخذ الرطبة أو التمرة يقلبها بيده ثم يعطيها غيره، فلما سئل عن ذلك قال: لأن التمر أحب الشهوات إلى نفسي، وهذا المجال من المخالفة للنفس كان أثراً من آثار التربية النفسية الصوفية، وخاصة بعد التآثر بكتب الأئمة الأعلام من رجال علم النفس الإسلامي أمثال الشيخ أبي طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والشيخ حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » .

ورد في « الجواهر الشفاف » (٢ : ١٨٦ - ١٨٧) عن المجاهدات قول المؤلف: وكان في بدوه رضي الله عنه شديد المجاهدة كثير العطش والجوع شديد المخالفة للنفس والمحاسبة لها، ويمكث زماناً طويلاً لا يأكل شيئاً إلا قليلاً سمن أو قليل لبن، ومكث زماناً لا يدخل حنجرته شيء حتى يبست، فذهب إلى أخته مريم فأرادت أن تسقيه ماء فلم يدخل الماء في حنجرته من يبوستها، فليئنتها بشرب السمن قليلاً حتى لانت ثم شرب الماء، ولم يزل في شدة المجاهدة حتى ظهر عليه أثرها، وكان يرى جسده كأنه جسد عليل، ومكث لا يأكل التمر نحو ثلاثين سنة^(١).

(١) هذه المجاهدات هي مدرسة السلوك التي رضيها الآباء لأنفسهم، فجنوا ثمراتها، فبقيت آثار مجاهداتهم خيراً يروى، وأما جيلنا الحاضر فنصيبه من هذه المراتب

ثمرات المجاهدة

قال صاحب « الجواهر الشفاف » عن الشيخ عمر المحضار: ولم يزل على تلك المجاهدة حتى صدقه الله وعده، حيث قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وأمطر عليه منن من بركاته سنين مواهبه ودرر عجائب يواقيت مكنونه وغوامض علوم شرائعه وعرفانه، فكان من غزارة علمه يقصده الفقهاء يتعنتونه بما يلقي إليهم من نواذر العلوم الشرعية

الاستغراب إن لم يكن الانتقاد، ومن المنتقدين قوم جعلوا الدين حجة لمواقفهم لا لخدمته، وإنما لتبرير عجزهم الواضح عن الابتعاد عن الحرام والصرف والتعامل به فضلاً عن الحلال، فيقولون: إن ما تسمونه مجاهدات إنما هو تعذيب للنفس، وهذا ليس من الإسلام، وإنما هو من رياضات الهندوس والبوذية، أما الإسلام فقد أحل الطيبات وأجاز لنا أن نأكل ونشرب من غير إسراف.

وخلاصة القول أننا أمام مدرسة إسلامية تربية كان عليها الأوائيل، أساس اقتباسها في المجاهدة والمكابدة من السنة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الذي كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع اختياراً، وإذا كشف الصحابة عن حجر كشف عن حجرين.. إلخ.

وأما حالنا نحن المتأخرون فأعتقد أن مجاهدتنا سترقى مرقى حسناً إذا نحن تحرينا أكل الحلال في هذا العصر وتجنبنا الشبه والحرام، وقمنا بالواجبات وما تيسر من النوافل، وكفى.

ولوامع الأبحار اللدنيّة، ويحضرون كثيراً عند عقد مجلسه ويتبركون بزيارته ويستفيدون كثيراً من علومه ويسألونه عن المسائل الفقهية الدقيقة فيجيبهم بالأجوبة الغريبة الفائقة اللطيفة والعبارات الرائقة، منها ما يفهمونها ومنها ما تكل أفهامهم عن معرفتها، ويسألهم عن مسائل فمنها ما يفهمون جوابها ومنها ما يعجزون عنه، فيقولون له: يا شيخ نحن قد قرأنا في كتب كثيرة ولم نطلع على هذه العلوم التي تذكرها وأنت لم نرك تطالع في شيء من الكتب، فمن أين لك هذه العلوم؟ فقال: أنتم معكم مفاتيح، فما تدخلون البيوت إلا من أبوابها، وأما نحن فنتسور الجدران^(١).

ويقصد بذلك أن علمكم مقيد بنصوص الكتب وتقليد أهلها حتى في الإشكالات، أما نحن فعلمنا علماً لدنياً من جنس الحكمة التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. ويؤيد هذا ما أورده أيضاً «الجواهر الشفاف» (٢: ١٨٨) قال: وحضر مجلسه يوماً الفقيه العلامة الزاهد العالم الكامل الذكي الوفي محمد بن حكم بن أبي قشير رضي الله عنه، فتكلم الشيخ بالعلوم اللدنيّة وعبر عما تكلم فيه بالعبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة حتى

(١) «الجواهر الشفاف» (٢: ١٨٨).

أبهر الفقيه ذلك، فقال له: يا شيخ عمر نحن نقرأ في الكتب ولم نطلع على شيء من هذا، وأنت لم تقرأ في شيء منهم، فمن أين لك هذه؟ فقال: هذا جينا به من فوق^(١).

واجتمع الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه مرة عند قبر النبي هود^(٢) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ببعض السائحين المجتهدين، وكان ذلك السيّاح عالماً بكثير من العلوم في الطريقة والحقيقة والطب وغير ذلك من العلوم، فجعل الشيخ عمر يسأله عن مسائل كثيرة وكلما سأله مسألة أجاب عنها، ثم إن الشيخ أورد عليه مسائل حيرته

(١) المصدر السابق .

(٢) ورد عن الأوائل والأواخر بالتواتر من نقل الأخبار وما ورد في بعض الآثار على وجود قبر سيدنا هود عليه السلام في تلك الناحية، واختلف العلماء في ذلك اختلافاً كثيراً، والمهدف الأساسي الذي كان السلف يرغبونه في هذا الموطن هو الخلوة والتفرغ للتعبد، إذ إن خروجهم إلى «ناحية الشعب» صار تقليداً لمدرسة حضرموت، ومسألة الخلاف حول موقع القبر ترجع إلى البحث العلمي والتاريخي، وإن كان سلفنا الصالح قد تيقنوا من أن تلك المنطقة هي «موقع قبر نبي الله هود» ولا يوجد لديهم خلاف في ذلك، ولكن القول الفصل لمن أراد التيقن إن كانت هناك حاجة للجدل والمماحكة في «موقع القبر» فالأمر يرضخ للبحث العلمي والتاريخي المستقبلي، وأما تقليد وترتيب وعادات السلف فلا علاقة لها بعين الخلاف ذاته، وإنما هو تقليد مدرسة واختيارات رجالها.

وأدهشته، فمن جملة ما قال له: أتدري لم سمي الفؤاد فؤاداً، إنما سمي فؤاداً لأن فيه ألف واد وفي كل واد منها ألف واد، وأراد أن يشرح له شيئاً من العلوم فانزعج ذلك السائح واندهش وارتعش واحمر لونه وارتعدت فرائصه وبحت، فقام وقال: أستغفر الله، فقال الشيخ عمر كأنه تحجج بحرك، وأما نحن فما بعد خرج من بحرنا قطرة، وأراده يثبت لمناقشته، فقال: يا سيدي، أستغفر الله، أنا ضيفكم، أنا على فراشكم، فقال الشيخ: مرحباً بك، وسكت عن مخاطبته.

قال مؤلف «الجوهر»: حضرت يوماً مجلس شيخنا الشيخ عمر رضي الله عنه وعبدالله ابن الفقيه علي بن أبي حرمي يقرأ على الشيخ تفسير القرآن العظيم للسلمي والشيخ يشرح له، كلما قرأ عليه شرح شرحاً فائقاً، ثم قال الشيخ رضي الله عنه في أثناء كلامه: الصالحون إذا قرؤوا القرآن أفنؤا الحروف ثم أفنؤا الصوت ثم يتبعون بعد ذلك في بحر ثم يضمحل ذلك البحر ويبقون معلقين^(١)، ثم قال الشيخ: ونحن ندخل هكذا أو في هذا عندما نقرأ ﴿مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ وبقى معلقين بعد اضمحلال.

وكان رضي الله عنه صاحب غوص في الفكر وتدقيق فيه ومعرفة

(١) النص المذكور في «الجوهر»: (ويبقون معلقين في الهواء)، يعني: مع الهيبة والتعظيم.

في أسرار الحكمة الملكوتية، وكان مع ذلك شديد الخوف غاية الشدة حتى إنه كان كثيراً ما يقول: وَدِدْتُ أَنِّي أَكُونُ حَيواناً يُذبح ويؤكل. وكثيراً ما يقول: لو عَلِمْتُ أَنَّ لي عند الله تسيحةً مقبولةً أو حسنةً لأَقْرَيْتُ -أي: أطعمتُ- أهلَ تريم على البُرِّ واللحمِ حتى دواجِمَ (١).

رحلته في طلب العلم

رحل الشيخ عمر المحضار في سبيل الطلب والانتفاع بالعلماء رحلات عديدة سواء في حضرموت أو جهات اليمن أو إلى الحجاز، واتصل في كافة رحلاته بأفاضل العلماء والمشايخ، وأخذ الأسانيد العالية عن أربابها، وأظهره الله في محافل الشيوخ إظهاراً يليق بحاله. قال صاحب «الجوهر» (٢): عن شيخنا الشيخ العارف بالله تعالى عمر ابن شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي الله عنه قال: كنت في مكة سنة حججتُ فجاء إليّ بعضُ المشايخ وأخذ بيدي وقال لي: أنت ابن السقاف، قلت: نعم، ثم التفتَ إلى أصحابه وقال لهم: والد هذا في حضرموت يُعْطِي على نفسه حتى لا يظهر منه شيء، واشْهَدُوا

(١) «الجوهر الشفاف» (٢: ١٨٩).

(٢) المصدر السابق، وكان حج الشيخ عمر المحضار سنة ٨٠٦ رضي الله عنه.

عليّ أن والد هذا يحضر عندنا في الحضرات فنقع عنده كالضأن وهو
فيينا كالأسد، ما نخافه إلا يفترسنا وما نستريح إلا بعد ما يروح عنا.
وقد ذكرت التراجم أن الشيخ عمراً المحضار قد حقق علوم عصره
واعتنى بكافة مراتب المعرفة المتداولة آنذاك، وزاد تحقيقه لجملة من
العلوم والكتب «كالمنهاج»، و«التنبيه» في الفقه لكثرة مطالعته
ومراجعته مع طلبه العلم، و«الإحياء»، وكان قد بدأ تداوله والقراءة
فيه، و«تفسير السُّلَمي» حتى كاد أن يحفظه من كثرة مطالعته وتكرار
قراءته.

ورود الأحوال وارتقاء المقامات

من ثمرات الاستغراق في الشيء التفاعل معه والتأثر به وورود
التجاذب النفسي منه وإليه، وهؤلاء الشيوخ امتزجت أرواحهم بالقرآن
وتلاوته والطاعة ومجاهداتها وتربية النفس وتركيتها، فجنوا ثمار ذلك
استغراقاً في بدائل الحال، فعندما يتجاوز المرء حالاً معيناً إلى آخر
يحصل له به استقرار يسمى مقاماً، ومن صفات أحوال الصالحين أنها
ناجحة عن ترويض النفوس فتسبب إشراقاً معنوياً يؤدي إلى رضاءٍ بالله
وفرحٍ به واستئناسٍ بذكره وشكره وحسن عبارته، ووليه واستهتارٍ في

الشوق لمراضيه، وبعدٍ وتجنبٍ لدناءات النفوس البشرية.
ولما كان الشيخ عمر المحضار تحت رعاية تربويّة مخصوصة شأنه شأن إخوته تحت رعاية والده فالأحوال والتحول أمرٌ بديهيٌّ في تطور الحياة التربوية الأبويّة، وهما هو ذاته يقول: أول ما ظهرت عليّ الأحوال سنة ٨٠٨ في حياة والدي، ويقول في أثر التربية وملاحظة الشيخ علي بناء الروح واستقامة النفس: (أُعْطِيتُ ثلاثة أيادي: يداً من النبي صلى الله عليه وسلم ويداً من والدي ويداً من رجل آخر) ، والرجل الآخر لاشك أنه أحد شيوخه الأفاضل الذين تأثر بهم.
وفي معرض التحدث بالنعمة من الأب المربي الشيخ عبدالرحمن السقاف عندما رأى ثمرة تربيته في ولده قد أنبعت قال: وجدنا مع عمر شيئاً ما كُنّا نظنّ أنه معه.

ظهوره وأعماله الجليّة

كان أول بروز الشيخ عمر المحضار من خلال مجاهداته الطويلة واشتهاره بذلك، ثم بتصدّره للتدريس مبكراً ونشر حقائق العلوم من لسانه الشريفه واحتشاد العلماء والفقهاء لسماع تقريراته الفائقة وتعبيراته الرائقة، وما أجراه الله على يديه من خوارق العادة، قال

صاحب « الجوهر » معبراً عن مرحلة ظهوره وبروز مرتبة أحواله: وكان رضي الله عنه من كبار جهابذة المشايخ الأعلام العارفين ورؤساء الصفوة المحققين، كثير الخوارق والكرامات والمكاشفات عن الحقائق والآيات، والقدم الراسخ في معرفة الأسرار المغيبيات والبصائر البواهي المشرقات، والإشارات النورانيات والنفحات الإلهيات والأسرار الملكوتيات والمحاضرات القدسيات والتمكين المكين والتصريف النافذ في الوجود، والمشرب العذب من سلسبيل فيض الفضل، أجمع على إجلاله وإعظامه الأنام وانتفع به الخاص والعام، ونزلت بفنائه الركائب وسارت الركبان من كل فج عميق.

قال فيه صاحب « الغرر » ص ١٩٥ :

رَعْنَهُ أَكْفٌ مِنْ عَنَايَةِ رَبِّهِ	فَلِلْخَلْقِ هَادٍ ثُمَّ بِاللَّهِ مُهْتَدٍ
رَضِيْعٌ لُبَانَاتِ الْحَبَّةِ مُرْشِدٌ	لِحَيْرَانٍ فِي بَحْرِ مِنَ التَّيِّهِ مُزِيدٍ
يَقُومُ الدِّيَاجِي فِي الْهَوَاجِرِ صَائِمٌ	وَلِلذِكْرِ يَتْلُوهُ بَيْتٍ وَمَسْجِدٍ
مُرَبِّ لِسَالِكِ الطَّرِيقِ بِحَالِهِ	وَأَرِيَابِ أَنْوَارِ الْحَقِيقَةِ تَهْتَدِي
عَلَا فَاعْتَلَى عَالِي الْمَقَامَاتِ فِي الْعَلَا	مَعَانِيهِ أَعْيَا فَهَمُّهَا كُلٌّ مُرْشِدٍ
جَلَالِيْ أَحْوَالٍ وَشَيْخٌ مُسَدَّدٌ	مُنَاطِرُهُ فِي الْعِلْمِ يُضْحِي كَابَلَدٍ
رُؤُوفٌ عَطُوفٌ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةٌ	شَرِيفٌ عَفِيفٌ عَارِفٌ بَتَأْكُودٍ

لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو بِحَسَنِ عَزِيمَةٍ لِأَعْلَى مَقَامٍ قَدْ عَلَا بِتَعَبُدِ
هذا هو الشيخ عمر المحضار بشهادة معاصريه كصاحب «الجوهر»
ومن جاء من بعدهم كصاحب «الغرر» ، أجمعت دوائر العلم
والولاية والمشايخ أنه ربها وصاحبها، فكان نفع الله به خير قائم بها
وأفضل راع لها مدة حياته، وقد كان ساداتنا آل البيت النبوي من
سلالة آل أبي علوي يتميزون عن كثير من أشباههم وأمثالهم بالجمع
بين الاعتناء الكلّي بالدين وقواعده وبين اتخاذ الأسباب، وخاصة عند
بروزهم في مواقع التأثير وبدء تحمل مسؤوليات الطريق وخدمة الأمة
ورعاية مصالح الخواص والعوام.

فما كان من الشيخ عمر المحضار إلا أن جال بفكره وعقله لوضع
قواعد الحياة الاقتصادية وترتيب عائدات الموارد الماديّة، سواء في تريم
ونواحيها حيث موقع مظهره ومخبر جوهره، أو في مناطق الساحل التي
كان يتعهدها كالشحر والمكلاّ والغيل وغيرها من الأماكن.

بل ذكرت التراجم أنه كان في هذه المرحلة أكثر السادة بني علوي
أملاكاً وامتلاكاً للأرض ورعايةً لزرعها وغرس نخيلها ومتابعة ثمراتها،
ورتب في ناحية الساحل عدداً من السفن الشراعية للعمل في صيد
السمك على أن تكون عائداتها للمصالح المرتبة في العلم والدعوة إلى

الله وإعانة الفقراء والمعوزين .

وظهر له شأنٌ ومقامٌ من خلال انتشار سمعته في الآفاق، فكانت تُرسلُ إليه الأموال الكثيرة فيصرفها في المصارف المحمودة، فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ينفق على غالب بيوت الأشراف، ويؤثرهم بالأفضل المأكل والمطعم، ويتعهد الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، ويكرم الوافدين من الغرباء وطلاب العلم والسائحين للعبادة، حتى إن بعضاً من أقاربه وذويه لأمه لوماً شديداً على كثرة إنفاقه فأجابه بقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

ومن مآثره في هذه المرحلة عمارته للمساجد، ومنها مسجده المعروف بترميم^(١)، بناه وأوقف عليه نخلاً وعقاراً ومصالح جمّة، كما بنى مسجداً آخر في نواحي الشحر بقرية تسمى « عرف »، وله هناك بها حوطة معمورة وأوقاف ومقام إلى اليوم^(٢).

جاء في « الغرر » ص ٤٠٤: وكان الشيخ عمر قد حوط حوطاً كثيرة، فحوّل الشحر ثلاث حوط، ومنها حوطة « واسط » بنواحي الشحر.

(١) عن « نبذة عن جامع الحضار بترميم » .

(٢) « تاريخ حضرموت » لصالح الحامد (٢: ٧٥٠) .

ومن أعماله العظيمة في مرحلة تصدره وظهوره قدرته على جمع إخوانه السادة بني علوي تحت إطار التآخي والتآزر في ذات الله، ودعاهم لأول مرة إلى إقامة شكل من أشكال العمل المنظم الموثق بإقامة « النقابة » ، ووقع معهم وثيقة خطية معمدة من الدولة آنذاك، قوامها التكاتف والتعاون المشترك في إعلاء كلمة الحق وقمع صولة الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر كل مظلوم. وهذا نموذج لتلك الوثيقة التاريخية المباركة نُقلت من كتاب «تاريخ

حضر موت» لمؤلفه السيد صالح بن علي الحامد:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تسليماً طيباً مباركاً فيه

هذا ما حضر عليه الحضور الشهود، بأن « آل باعلوي » نفع الله بهم اتفقوا وتراضوا جميعهم كبيرهم وصغيرهم حاضرهم ساد^(١) غائبهم على أن يقوموا بالحق، على ما قال الله ورسوله بينهم، لهم وعليهم في جميع الأشياء تصير إلى الشيخ عمر ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف بن

(١) ساد، أي: قائم مقامه سدّ مسدّه.

محمد بن علي بن علوي، وتراضوا أيضاً من بعد الشيخ عمر علي عشرة منهم يدور «الشور»^(١) بينهم في صلاح الشيء باللفظ والإحسان من غير عنف ولا استكبار، وهؤلاء العشرة إشارتهم إلى الشيخ عمر ابن الشيخ ابن محمد بن علي علوي، والعشرة قد عليهم العهد والميثاق، وقد أشهدوا الله - سبحانه وتعالى - وملائكته وأنبياءه والصالحين من عباده وجدّهم الشيخ محمد بن علي المقدم والشيخ عبدالرحمن والشيخ عمر وجميع المسلمين أنّهم عدول بين آل أبي علوي، ولا يخونون ولا يميلون على غير حق، على ما قال الله ورسوله في جميع الأشياء، وإن تصابوا العشرة على مصلحة شيء من الأشياء يرونه أنه أصلح لهم كان رأي العشرة يرجح، وما أشار به الشيخ عمر في المصلحة ماضٍ، والعشرة المذكورون هم:

١- الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف.

٢- الشيخ عبدالله بن علوي.

٣- الشيخ محمد بن عبدالله.

٤- الشيخ حسن بن شيخ.

٥- الشيخ حسن بن علي.

(١) الشور هو الشورى.

- ٦- الشيخ أبوبكر باحسن.
- ٧- الشيخ حسين بن علي.
- ٨- الشيخ علي باحسن المعلم.
- ٩- الشيخ محمد بن عمر.
- ١٠- الشيخ محمد بن علي.

وهؤلاء العشرة إذا مال أحد منهم على غير حق أو مات يبدل غيره من الباقيين الذين يرضى الشيخ عمر مكانه.

وهؤلاء الضمناء المذكورون العشرة المقدمون في أول الكتاب الذين يدور عليهم « الشور » كل واحد منهم قد عاهدوه أصحابه المذكورين على ما قال الله ورسوله « له ولهم » لا يخالفونه، فإن جرت مظلمة على أحد من العشرة ولم يقدر على إخراجها كانوا جميعاً آل باعلوي يقومون معه، وتكون اليد واحدة على ما قال الله ورسوله، ويذكرون العهد الذي أخذ عنهم، وأنهم تراضوا جميعهم على أنهم يُخرجون صدقات مساجدهم جميعها، نخيلها وذبورها وبيوتها وما تعلق بها على ما قال الله ورسوله، ومسجد «آل أبي علوي» تجمع صدقته جميعها الذي عند الشيخ عمر والذي عند آل محمد بن عبدالله وعند آل علي بن عبدالله وآل علي بن عمر وآل أحمد، وجميع ما كان له من الصدقة

والفطور والموارد يخرج من جميع هذا المذكور خالصاً لوجه الله
ورسوله، ومساجد الشيخ عبدالرحمن جميعها ومسجد باخطفان
ومسجد الحبوذي ومسجد محمد باحسن المعلم ومسجد سرجيس
ومسجد محمد بن عبدالله ومسجد باحميد ومسجد النخل ومسجد يبهر
وصدقته محمد بن علي في السوم ويبحر، وهذه المساجد المذكورات
يخرج كل واحد صدقته جميعها على ما قال الله ورسوله.

والرأي في هذه المساجد إلى الله ثم الشيخ عمر على كل واحد
منهن ناظر تقي لا يخون، وآل المساجد يتناظرون على ما تراضوا عليه
العشرة في مصالح المساجد على ما قال الله ورسوله ثم إشارة الشيخ
عمر، ما رأى الشيخ عمر فيه المصلحة فالكل تابعينه، وإن غاب
يُقدم بإشارته المباركة أحد من آل باعلوي الذين يرونهم بالرأفة والرحمة
واللطف والإحسان من غير عنف ولا استكبار.

وإن جرى على أحد من آل أبي علوي مظلمة من قريب أو غيره
بغير حق كان الشيخ عمر أن يهجره ولا يصفحه، وآل باعلوي
جميعهم يتبعون الشيخ عمر بما فعل، والله يشهد على هذا المذكور
جميعه وملائكته وأنبيأؤه والصالحون من عباده على ما قال الله

ورسوله.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم،
والحمد لله رب العالمين. انتهت الوثيقة.

ثم تلت الوثيقة توقيعات الحاضرين من حكام وعلماء وبقية رؤوس
بني علوي، وقد بلغوا واحداً وأربعين.

وبهذه الوثيقة الجامعة بدأت فعالية الشيخ عمر تسري على
مجتمعه، وتهمين أشتات البيوت العلوية، لتصبح كتلة واحدة في السراء
والضراء، ودخلت نقابة السادة العلويين مرحلةً جديدةً من مراحل
التأثير العلمي والعملية في تركيبات البيوت العلوية ذاتها، ثم تركيبات
الفئات الاجتماعية الأخرى.

كما اعتنى الشيخ عمر المحضار بضبط أحوال المريدين وطلاب
العلم والاهتمام بتدريسهم ومعاشهم، وتوسعت في عهده دائرة
الاستقبال للغرباء من أفجاج البلاد، فكان لهم نعم المرابي والمعلم.

تلاميذه ومريدوه

اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الشيخ عمر المحضار، وانتفع
بعلمه المئات من كافة الأمصار، ولكن اعتناؤه الكثير انصب على من

يليه من دائرة تريم وما حولها، وتخرج به منهم الأفاض والأئمة، ومنهم الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس^(١) والشيخ علي بن أبي بكر والشيخ أحمد بن أبي بكر والشيخ عبدالله ابن الفقيه علي بن أبي حرمي^(٢) والفقيه محمد بن علي بازغيفان^(٣) وغيرهم، ومن الشحر والمكلا والغيل ونواحيها كعَرف وواسط وتباله وغيرها تخرج به الكثير من تلك النواحي.

وكان العديد من رجال العلم والحكم والجاه لهم التعلق التام والعقيدة الحسنة في الشيخ عمر، فمن أولئك الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير، ذكره صاحب «صفحات من التاريخ الحضرمي» ص ١١٠ وأشار إلى ذلك صاحب «الغرر» ص ٣٠٤ في معرض

(١) ولد الشيخ عبدالله بن أبي بكر في ذي الحجة سنة ٨١١ هـ، وتوفي جده الشيخ عبدالرحمن وله من العمر نيف وثمان سنوات، وكفله أبوه أبوبكر حتى توفي وله من العمر عشر سنوات، وكفله بعد ذلك مع إخوته الشيخ عمر الحضار وقام بهم أفضل قيام، وتربى الشيخ عبدالله على يديه حتى فتح الله عليه، وتوفي الشيخ عمر وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وقد بنى بابنته عائشة في حياة أبيها وخلف وورث عمه عمر وهو به فرح مسرور. «العقد النبوي» (٢: ٤٤).

(٢) «الجواهر الشفاف» (٢: ١٨٩).

(٣) «الغرر» ص ١٩٤.

عَتَبَ من الشيخ عمر المحضار على الشيخ عبدالرحيم لما بلغه أنه -
أي: الشيخ باوزير- حَوَّطَ حُوطة في الشحر فقال الشيخ عمر: ما
لعبدالرحيم وللحُوطة.. إلخ . كما ذكره صاحب «الغرر» .

كما أورد صاحب «صفحات من التاريخ الحضرمي»
ص ١٠٣-١٠٤ علاقة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير وتعلقه
الشديد بالمحضار، وكان من ذلك تزوج الشيخ عمر المحضار بأخت
الشيخ المذكور فاطمة بنت الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير،
وعاشت معه في تريم، كما سَمَّى الشيخ المحضار أحد أبناء الشيخ
عبدالله باسمه وهو الشيخ عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن باوزير.

وذكر أيضاً ص ١١٩ علاقة الأمير جعفر بن عبدالله بن علي بن
عمر الكثيري جدّ السلطان بدر بوطويرق بالشيخ عمر المحضار فقال:
وقد كان جدّه -أي: جد أبي طويرق- الأمير جعفر بن عبدالله بن
علي بن عمر معروفاً بالرأي الثاقب والاستقامة، وقد ضمّه يوماً في
حُوطة سلطنة مجلس مع الشيخ عمر المحضار ابن عبدالرحمن
السقاف، فاقترح هذا عليه أن يكون سلطاناً في بلدة «بور»
المستعصية، وأكد له أن واليها قد تعب من ولايتها، وأنه يستطيع أن
يقنع واليها بالتنازل عن الولاية لجعفر، ولم يزل بها سلطاناً حتى تأمر

عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥ هـ.

الشيخ عمر المحضار وآثاره الشعرية

لسيدنا الشيخ عمر المحضار جملة من الآثار الشعرية ذات النمط
الإنشادي المغنّى على أصوات الحضرة ومجالس السماع المعهود لدى
أهل التصوف والذوق، ويمتاز النّفس الشعري بنورانية الرؤية وصفاء
الوجدان وحرارة المعنى والتغني بالمآثر والمواطن والأطلال في أسلوب
رائق ومؤثر، مثل قوله:

يا مسيكة الغنّا تريم حُرّه أمسى لها كم من خليل
قد خلي منها شقّ السحيل والبويقي على ظفره شليل
يال علوي ادركوها كلكم قبل تعمى وتمسي بالدليل
يا أهل جمع الترب يا عيانها انفضوا بادورا طاح القليل
يال فقيه انما من ساحتك انما يجتمى الاكل أصيل
عسرت هون الله عسرها ربنا اليوم للبلوى يزيل^(١)

ويقول أيضاً:

(١) ديوان الحضرة ص ٢١.

ألا ياخيلنا صبراً شويه نعم ياخيلنا ظلذي وباتي
عدمتم خيلنا ان لم تروها على سَوم الجُنيئَه مُلبَسَات
تريم امست لنا فرضا علينا ونحن اهل الكتب واهل القرات
نقاتل كل من جانا إليها ونحن كالأسود الضاريات
ومن جانا وبايخضع حمانا نكثر في بلده الصايبات^(١)
ويقول أيضاً:

ألا ياسفر لي جيت فانشد من حماهم
فبالله ليس تلقى في الدنيا كماهم
ولا اطيب من معاشهم وعذب ماهم
ولو لي بخت كنت في المغنا معاهم
هم قوم غذو في المحبة من صغهم
وعاشوا في مخافات وغابوا في فكرهم
ويسعد كل من كان في عمره نظرهم
في البكرة او عشية في مساهم
وهذا القول مني وهو من حسن ظني

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

وان زليت يارب بفضلك فاعف عني

وترزفني الشهادة على الإسلام سني
ونمشي في الطريقه نتابع في أثرهم

وله أيضاً:

أهلاً وسهلاً بحبي	يا من سكن وسط قلبي
وفي الهوى صار حسبي	هذه مقادير ربي
ماحد بُلي قط مثلي	أنا العقيق في أهلي
وقد عثرت بجهلي	ياريح الاحباب هي
يامن نظر عرض قلبه	قد شم ريح المحبه
من لم يشم المحبه	فليس له قط طبّ
قلبي معلق معاهم	في أرضهم او سماهم
وليس عندي كماهم	عرج بهم يوم غيبي
كم لي أقلب خصالي	أيامها والليالي
البر والبحر مالي	وزرعهم منه حي
ياليت لي عين تنظر	أو عندهم كنت أحضر

نرعى الجميل ثم نشكر
وله أيضاً:

زاد شوقي إلى ساحة تريم
نسل الاشراف لي شوقي لهم
الرجاجيل منهم والنساء
ما بوذي نفارقهم أبد
عمّر الله منهم ماخرب
من شنيهم فياليتته جدم
أو يصيبه غرام من صحيح
أو تقع له طعنه من عدو
أو تقع له سقطه من بعير
والصلاة على الهادي البشير

ونامراعي ملبي^(١)
للمشايع وخصّ أهل التّرب
نعم الاشراف سادات العرب
أهل تلك اللطافه والنسب
غير ربي عليهم قد غلب
لا ولا أراهم ربي تعب
أو يخالطه في أيديه النكب
وسط رجليه جدله من خشب
في خواصره من عرض المسب
راح حاركه من عالي القتب
ما في الليل نجم قد غرب^(٢)

وفي تريم يقول أيضاً:

ألا يانازحاً عن بلاد الطب مالك

(١) المرجع السابق ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

فرح وارجع اليها واجعلها حلالك
بها ترزق من الله بها توفيق حالك
تراك ان رحمت منها فلا ترزق كمالك
لها مشموم كالمسك وزادوه بنفسج
وهي كالدرد منظوم أو خطّ منسج
وهي شربة من القلت صافي ليس خمج
تراك ان رمت تسعد فاجعلها حلالك
وقد خصت بأقوام حُضوا بالسرائر
لهم انوار تعلو على فوق المناير
نجوا بالفضل ياصاح من كل الكبائر
بهم ربي أفدني نوالا من نوالك^(١)

كرامات الشيخ عمر المحضار

سبق وأن أشرنا للقراء أن مادة الكرامات في هذه السلسلة المؤلفة
لجيلنا المعاصر مؤجلة التناول، ذلك لأن غرضنا من إعادة كتابة

(١) « الغرر » ص ٧٨.

التراجم مخاطبة العقل المعاصر بما هو مألوف، وليصل المتأخرون منا إلى قناعة تامة أن الأولياء بَشَّرُ عرفوا قيمة الوقت والعمر والدين، فوضعوا كل شيء في محله، وَمَنْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ بَرَزَ لَهُ سِرُّ الْوَقْتِ وَالْعُمْرِ وَالْدِيَانَةِ، وَلَمْ يُغَلِّبُوا جَانِباً عَلَى آخَرَ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا أَصْلَ عِلَاقَتِهِمْ بِالْدِينِ وَالْدُنْيَا مَرَادَ اللَّهِ فِي الْحَالِينَ، فَجَعَلُوا الدِّينَ غَايَةَ وَالْدُنْيَا وَسِيلَةً مَعَ النَّظَرِ إِلَيْهَا بَعِينَ الْاِحْتِقَارِ وَالِاسْتِصْغَارِ.

وكثير من المعاصرين نشأت لديهم عقدة فكرية خطيرة عن الأولياء والصالحين، وذلك من خلال تركيز مدرسة الإعلام حملتها المتوالية ضد المدرسة التقليدية لاجتثاث مواقع تأثيرها، وكان بإمكاننا أن نجد الوقت لتعليق الحكايات المتعلقة بأخبار الكرامات لترضي بعض القراء، ولكن المرحلة لا تساعد على ذلك، فهي مادة على أهميتها مؤجلة التناول، ونأخذ بدلاً عنها المواقف ذات الصلة بإحياء السنة العملية التي دعا إليها صلى الله عليه وسلم أمته: «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد» .

والكرامات ليست شرطاً في الولاية، والتقوى هي الاستقامة، ولهذا فإن شروط الولاية والتقوى هي الاستقامة والأعمال الصالحة، وهذه مادتنا التي نهتم بإبرازها في هذه التراجم.

والمتمأمل في ثمرات المؤلفات التاريخية والتراجم سيجد الواقع ذاته يفرض على الكاتب مجارة الحياة المعرفية، واستعدادات المجتمع للمعروضات القلمية، فالأوائل وقد تساوى في عصرهم العلماء والمحدثون والمجتهدون والأصوليون كان لا بد حينها أن تبرز من بين هذه النماذج شخصيات الأفاضل الراسخين، فكانت « الأحوال والمقامات والكرامات » من جهة، وحيناً « الشطحات والعبارات الكشفية » من جهة أخرى ، وهي في واقع الحال لها ما يبررها عند الاحتكام إلى العلم تحت قاعدة التوسط بين الإفراط والتفريط.

فشيخنا الشيخ عمر المحضار نجد أن كافة كتب التراجم حشدت أخبار كراماته الخاصة والعامة حشداً يبرز موقعه العالي في الصلة بالله، وحشدت أيضاً أخبار كرامات غيره، ولا يخلو كتاب من الكتب القديمة من وصف كل مترجم بالخوارق ولو كان صوفياً خاملاً يكره الشهرة، فالإثبات كان مطلباً اجتماعياً تُوزنُ به شخصيات الرجال عند الموازنة والمفاضلة.

ولا زال المحبون والمتعلقون بالشيخ عمر المحضار تبرز لهم كراماته وآثار مقامه إلى اليوم كمثل غيره من أولياء الله، ولكن المعركة المعرفية اليوم تتركز أصلاً على مسألة « الكتاب والسنة » ، وسوق العرض

والطلب يطرح هذين الأصلين مجردين عن ثمرات العمل بهما عند الأجيال، وانطوت هذه اللعبة الخطيرة على عقول النفعيين المجريين عن اتخاذ الموقف الحق، وهذه هي مشكلتنا المعاصرة.

وحتى لا تطول بنا المحاورة في هذا الشأن أؤكد للقراء أن كثيراً من الكرامات المكتوبة في المؤلفات تحتاج إلى وقفة جادة وتمحيص دقيق يتناسب مع عقليات زماننا، ولا يظلم الأوائل مقاماتهم ومراتبهم، ويصحح مفهوم الأجيال المعاصرة بأسلوب وسط، لا إنكار بالكلية، ولا قبول لكل ما يكتب بالكلية، والفصل في التوثيق وصحة النقل. وهذه مهمة ليست بالسهلة، ولكن الله سييسرها على من كتب له اليسير، والله الموفق.

وفاة الشيخ عمر المحضار

اتسعت دائرة النفع العام للمسلمين والنفع الخاص للمتعلقين
والمحبين ولآل باعلوي أجمعين في عصر هذا الإمام الجامع محاسن
الأوصاف، كما قال فيه صاحب « الغرر » ص ١٩٦ (١):

فذاك الذي قد سما في العُلا إلى دُرُوزَةِ الفُخْرِ حتى فَخَّرَ
هُوَ الليثُ حَقّاً تَرَى للعِدا لَدَيْهِ ارتِعَادُ إذا ما رَأَى
له صارمُ المجدِ صَمَاصُمُهُ إذا هَزَّتْ طَارَ منه الشَّرَرُ
بُتُولُ إذا ما سَطَا سَطُوءُهُ على الوَثْرِ أَلْقَاهُ شَفْعاً وَمَرَّ
وَمَنْ دُرُوزَةَ العِزِّ حُصَّتْ لَهُ وَمَنْ نال ما عنه كُتِلُ حَسَرَ

ولم يزل هذا الإمام حجة الله على عصره وأهل عصره، قائماً فيهم
بالعلم والعمل ونشر الفضائل وجمع الشمل وتفقد الأرامل واليتامى،
وداعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وحارساً أميناً على مهمات
الطريق الموروثة عن آبائه وأسلافه قائماً بها مجدداً لمعانيها راعياً
لأتباعها، حتى ناداه منادي مولاه في أسعد الأوقات وأشرف
الساعات، وكان متوعكاً فسمع منادي صلاة الظهر ينادي بالأذان

(١) نقلاً عن « الجواهر الشفاف » (٢: ١٩٢).

فقال: مرحبا بالقائلين عدلاً وبالصلاة أهلاً وسهلاً، وأجاب المؤذن ثم توجه إلى القبلة وأذن للصلاة، ثم أقام وأحرم وصلى وسجد، فخرجت روحه الزكية وهو ساجد، ولم يزل في السجود وهو ميت ولم يَنْحَن ولم يتحرك حتى استبطأه الحاضرون، فرفعوه فإذا هو قد فارق الدنيا، وذلك يوم الاثنين ثاني يوم من شهر ذي القعدة سنة ٨٣٣ .

ونزل خبر موته على تريم وأهلها وعلى الوادي نزول الصاعقة، واحتشد المئات من الناس في جنازته وهو محمول على أكتاف أسرته ومحبيه وأهل مودته حتى مثواه الأخير بجوار أهله وأسلافه رحمه الله.

قال صاحب « الجواهر » :

سَقَى اللهُ قَبْرًا سَمًا وَافْتَحَرَ بِجُثْمَانِ شَمْسِ الْمَعَالِي عُمَرَ
لَقَدْ ضَمَّ إِمَامَ الْهَدَى أَبَا حَفْصِ اللَّيْثِ ذَا الْمَشْتَهَرِ
صَبَاحُ الظَّلَامِ وَغَوْثُ الْأَنَامِ رَفِيعُ الْمَقَامِ مُزِيحُ الضَّرَرِ
كَرِيمٌ تَسْلَسَلَ مِنْ سَادَةِ كِرَامِ صَفْقُوا عَنْ مَشُوبِ الْكَدَرِ
حَوَّوْا سِرَّ أَسْرَارِ خَيْرِ الْوَرَى وَفِيهِمْ سَرَى سِرُّهُ وَانْحَدَرَ
إِلَى أَنْ تَلَقَّاهُ شَيْخُ الْوَرَى وَصَارَ لَهُ الْمَعْدَنُ الْمَسْتَقَرُّ
تَشَعَّشَعَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَجْمُهُ وَنَارٌ فَلَمَّا تَعَالَى زَهَرَ
فَأَهَ عَلَى الْقَوْمِ قَدْ أَوْحَشُوا وَآهَ عَلَى فَقْدِ تِلْكَ الْعُرَرِ

وَأَهٍ عَلَى السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى وَمَا يَنْفَعُ الْآهَ بَعْدَ الْقَدَرِ
سَلَامٌ سَلَامٌ عَلَى رُوحِهِ مِنْ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ مُنْشِي الصُّورِ
فَذَاكَ الَّذِي قَدْ سَمَّا فِي الْعُلَا إِلَى ذُرْوَةِ الْفَخْرِ حَتَّى فَحَرَ (١)
رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةَ الْأَبْرَارِ، وَنَفَعْنَا بِهِ وَبِعُلُومِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي دَارِ
الْمَثُوبَةِ وَالْقَرَارِ. آمِينَ .

(١) المصدر السابق.

الفهرس

٥	المطلع القرآني
٧	الإهداء
٩	شاهد الحال
١١	سلسلة النسب
١٣	المدخل
١٤	التعريف بالشخصية
١٥	ميلاده ونشأته
١٧	مجاهداته ورياضاته
٢٣	ثمرات المجاهدة
٢٧	رحلته في طلب العلم
٢٨	ورود الأحوال
٣٠	ظهوره وأعماله الجليلة
٣٤	وثيقة النقابة
٣٨	تلاميذه ومريدوه
٤١	آثاره الشعرية
٤٥	كرامات المحضار
٤٩	وفاة الشيخ عمر المحضار